بحمدون

اسم مشتقٌّ من «بيت حمدون» (Bayt Hamdun).
و«حمدون» في اللغة الآراميّة هو اسم التصغير لِـ«حَمْد»؛
ومعناه في الآراميّة والعِبريّة والعربيّة، الرغبة واللذّة والحُسْن،
لا «الشكر» (وهو تفسير لا يُفيد المعنى، في اللغة العربيّة).

* أنيس فريحة، «معجم أسماء المدن والقرى اللبنانيّة وتفسير معانيها – دراسة لغويّة»، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٢، ص. ١٤.

المحتويات

إقرار ١١

الجيولوجيا والجغرافيا ١٣

التاريخ ٢١

فترة استراحة: محطّة بحمدون ٥١

أيقونة بحمدون العجائبيّة ٦١

صناعة الحرير ٦٧

صناعة النبيذ ٧٥

الأعياد ٨٧

المونة ٩٧

البواحير ١٠٣

ذكريات مشتركة: لمحة عن حياة الضيعة ١٠٩

المراجع: المصادر العربيّة والمصادر الأجنبيّة ١١٥

فهرس الأعلام والأماكن ١٢١

إقرار

كثرٌ هم الذين يستحقّون الشكر. كثرٌ هم الذين تكرّموا فمنحوا من وقتهم للتجمّع حول «كأس عرق» و«التبّولة»، إحياءً لذكرياتٍ مشتركةٍ يستعرضون من خلالها، أحداثًا جرت في الماضي، وكان كلّ حَدَثٍ منها يقود إلى آخر.

الشكر لسعادة السفير الدّكتور جوي تابت الذي أصرّ على كتابة هذه المذكّرات. والشكر أيضًا لسعادة السفير فخري صاغية لما قدّمه من شرحٍ وتفسير وترجمة. وأشكر أيضًا السيّدة سمر ميقاتي قيسي، المشرفة على قسم المحفوظات في الجامعة الأميركيّة في بيروت، والتي لم تبخل بجهد في سبر أغوار معلوماتٍ كانت لا تزال مجهولةً. أودّ أن أقدّم شكري أيضًا، لمن تكرّم بإرسال الصور: سعادة السفير الدّكتور جوي تابت، والأب جان هاشم، والدّكتور نبيل أبو خالد، والسيّدين الكريمين: ناجي بطرس ووديع معلوف، ومن بينها صورٌ لي من مجموعتي الخاصة. كذلك الشكر للسيّد كميل خيرالله على معلوماته وصوره، من بينها صور المتحجّرات التي عُثِرَ عليها في بحمدون، وللسيّد ميشال خيرالله وقرينته؛ فهو كان ذاكرة الماضي إذ استمرّ في إطلاعي على معلوماته. كما أشكر الدّكتور

فترة استراحة

محطّة بحمدون

«بدأ الاصطياف في بحمدون
الضيعة والمحطّة يأخذ طابعًا
موسميًّا سنة ١٩٠٤. (...)
وشكّلت محطّة بحمدون لؤلؤة
المصايف في الشرق الأوسط»

بقيت المحطّة مهجورةً منذ أن دُمِّرت
أثناء حرب الجبل سنة ١٩٨٣، وما
زالت على حالها حتى اليوم...

إنّ محطّة بحمدون[1] قرية حديثة النشأة وهي منفصلة تمامًا عن ضيعة بحمدون ولها بلديّتها الخاصّة، ولكنْ، جرى المزج بينهما بسبب التسمية. الواقع أنّ التسمية تمّت لأنّ سكّة الحديد مرّت من هناك وقامت فيها محطّة لنقل الركّاب، أي لنزول الواصلين وصعود المسافرين، وذلك سنة ١٨٩٨[2]. تبدأ سكّة القطار في بيروت وتنتقل إلى عاريّا وعاليه وعبرهما إلى صوفر، فشتورة ورياق، ثمّ إلى حمص. عُرِفَ هذا الخطّ باسم سكّة حديد «دمشق – حماة وتوابعهما» (*Damas – Hama et Prolongements*).

تقع المحطّة على ارتفاع ١١٠٠ متر عن سطح البحر. وإذا أضفنا إلى ذلك، سهولة الوصول إليها تمكّنت المحطّة من أن تصبح منتجعًا للاصطياف، ومركزًا تجاريًّا ومكانًا للتسلية. تعدّدت فيها الفنادق والمطاعم والمقاهي ودور السينما، في حين استمرّت ضيعة بحمدون على وضعها السابق مقرًّا للعائلات. ومن المؤسف أنّ المحطّة، تمامًا مثل

---

[1] أنظر إلى لويس غصن، «محطّة بحمدون – نشأتها وتطوّرها»، بيروت، مكتبة صادر، ٢٠٠٠؛ رمزي مشرّفيّة، «بحمدون المحطّة، استعادة صيفيّات العزّ»، جريدة النهار، ٢٠٠٣/٨/٧، ص. ١٥؛ نهاد طباليان، «لويس غصن»، جريدة الأنوار، ٢٠٠٨/٧/٢٠، ص. ١٥، عدد ١٦٨٧٢.

[2] أنظر إلى قسم «سكّة الحديد» من فصل «التاريخ».

شقيقتها ضيعة بحمدون، قد دُمّرت أثناء حرب الجبل في سنة ١٩٨٣، إلّا أنّ عمليّة بنائها ونموّها التي انطلقت من جديد، قد باءت بالفشل نظرًا لتدخّلاتٍ سياسيّة على الأرجح.

تُمدّ السكك الحديديّة عادةً، قبل شقّ الطرقات. إلّا أنّ سكّة الحديد هذه امتدّت بعد شقّ طريق العربات بين بيروت ودمشق في العام ١٨٥٩، وقد تمّ افتتاحها سنة ١٨٦٣ بمسافة ١١٢ كيلومترًا، ومرّت عبر «القبو» (ودُعيت في ما بعد خان القبو[١]) التي كانت خالية من المباني. برأي الدّكتور لويس غصن (١٩٠٨-٢٠١٢)[٢] رئيس بلديّة المحطّة أنّها بُنِيَت في «خان القبو». ويعود الخان إلى سنة ١٨٥٩ حين كانت طريق العربات في طور الامتداد. ويذكر مرجعٌ آخر[٣] أنّ المنطقة كانت تدعى «تلتيتي» وهي كلمة سريانيّة تعني «تلّة التين».

كان القطار يُزوَّد بالمياه من مبنًى قريبٍ من المحطّة بَنَتْه شركة تملكها الضيعة. وهذا سبب إطلاق اسم محطّة «بحمدون» على تلك المحلّة. ثمّ تمّ بناء عدد من معامل الحرير في جوار المحطّة فتُنقَل منها المنتوجات بواسطة القطارات. وكان فورتونيه پورتاليس، مالك مصنع الحرير في بتاتر، قد شقّ طريقًا من المحطّة إلى بتاتر عبر ضيعة بحمدون، وبذلك قام أوّل مركز تجاريّ أساسه صناعة الحرير.

فور إتمام مدّ السكّة الحديديّة، وصل إلى بيروت الأمبراطور الألمانيّ وليم الثاني ضيفًا لدى السلطان عبدالحميد الثاني، واستقلّ القطار إلى دمشق وتوقّف في محطّة بحمدون. فذهب وفد من أعيان الضيعة للترحيب به، إكرامًا للسلطان. فيما جاء إلى المحطّة، وفدٌ آخر من

---

١ شكرًا للدكتور فيليب متّى على هذه المعلومات.

٢ غصن، «محطّة بحمدون»، المصدر السابق الذكر، ص. ١٩.

٣ مفرّج، «موسوعة قرى»، المصدر السابق الذكر، ص. ١١-١٣.

القرى المسيحيّة، لغاية مختلفة طالبًا من الأمبراطور إفادته عمّا يستطيع وبلادَه المسيحيّة القيام به لمسيحيّي جبل لبنان. سألهم عن عددهم فقالوا ٣٠٠٠٠٠، فكان جوابه: «أنتم تعيشون بين ٣٠٠ مليون مسلم. اهتدوا لدين الإسلام».[١]

تأسّست أوّل بلديّة سنة ١٩١٢ برئاسة أمين بك أبو خالد بالرغم من أنّ القرية الجديدة لم يكن لها حدودٌ ثابتة. ولمّا بدأ الناس يتوافدون للإقامة حول المحطّة، تمّ فتح الكثير من الحوانيت، كان مالكوها من القرى المجاورة. وفي سنة ١٩٣٤ ثُبّتت حدود القرية، ثمّ تمّ تغييرها بعد ثلاث سنوات. وقد تمّ فيها بموافقة سلطة الانتداب سنة ١٩٢٣، ووفقًا للقرار رقم ١٣، تأسيس أوّل مدرسة ابتدائيّة، وفي ما بعد، افتتاح أوّل مدرسة رسميّة، عام ١٩٤٤.

بدأ الاصطياف في بحمدون الضيعة والمحطّة يأخذ طابعًا موسميًّا سنة ١٩٠٤. في تلك السنة، أُصيب ابن القنصل الفرنسيّ بمرضٍ فنصحه الأطبّاء أن ينتقل إلى منطقةٍ تنعم بطقسٍ جافّ. في تلك الأيّام، كثُرت الكروم في بحمدون، أمّا المنازل فكانت صغيرة الحجم وعددها قليلًا جدًّا. استأجر القنصل بيتًا، وبعد فترة وجيزة تعافى الصبيّ بفضل المناخ الجافّ الذي يميّز بحمدون الضيعة والمحطّة. وسرعان ما اتّسعت حركة النموّ والعمران في المحطّة، ساهم فيها الناس بشراء الأراضي وبناء المنازل، إمّا لاستخدامها أو لتأجيرها. كان والدي من الذين فعلوا ذلك، فشيّد ڤيلّا جميلة ومنزلًا من طابقين. هكذا ازدهرت المحطّة وصارت من أشهر المنتجعات الصيفيّة في البلاد، وكانت تشمل ٣٠ فندقًا، ومطاعم جيّدة. بلغت أوجها في الخمسينيّات والستينيّات ومطلع السبعينيّات من القرن الماضي. وقد بدأ بناء الفنادق في العشرينيّات للقادمين من بيروت ثمّ للقادمين من الشرق الأوسط في ما بعد.

---

[١] صليبي، *Bhamdoun*، المصدر السابق الذكر، ص. ١٣.

أوّل الفنادق الذي تمّ بناؤه في بحمدون كان فندق «الكرمة» ومالكه نجيب أسعد خيرالله من بطلّون، الذي بنى الكثير غيره. بلغ عدد فنادق المحطّة حوالى الثلاثين، منها الساحة، وموندیال، والشيخ، وتابت، وبالاس، وشمسي، وكارلتون، ومصر، وشيبرد، والأمباسادور (الذي اشتُهر بحفلات الرقص ساعة تناول الشاي عصرًا)، ومينا هاوس. وقد دُمِّرت جميعها باستثناء الكارلتون الذي ما زال قائمًا. وخلال الثلاثينيّات، افتُتح مقهى شامات الذي اشتُهر كثيرًا، دُمِّر هو الآخر سنة ١٩٧٦، ثمّ أُعيد بناؤه باسم الجنّة، ولكنّه لم ينجح كثيرًا. وهناك مطعم حليم الذي كان وما زال يشتهر بطيوره المشويّة. أمّا كازينو عبدالله فقد استضاف مناسباتٍ اجتماعيّةً، من أهمّها حفلات ترفيه للأطفال وانتخاب أجملهم. وجرى فيه انتخاب ملكة جمال بحمدون سنة ١٩٣٥. بالإضافة إلى كلّ ذلك ضمّت بحمدون دارَين للسينما.

سبق أن ذكرنا أنّ أوّل الزوّار كانوا لبنانيّين، يليهم المصريّون فالعراقيّون والسوريّون. بعدهم جاء أبناء دول الخليج. يُروى أنّ ثريًّا كويتيًّا زار لبنان في ثلاثينيّات القرن الماضي وأعجبه الجوّ، فأبلغ أصدقاءه ما شجّعهم على المجيء بكثرة إلى لبنان.

ترافق النموّ الاقتصاديّ والاجتماعيّ مع تطوّر ثقافيّ وسياسيّ، تجلّى بمحاضراتٍ أُلقيت و باجتماعاتٍ عُقدت، ما أدّى إلى انعقاد مؤتمر إسلاميّ – مسيحيّ بشأن القيم الروحيّة وسبل تطبيقها. وكانت تلك المرّة الأولى في تاريخ المنطقة يجري فيها حدثٌ بهذا المستوى من الأهمّيّة. وقد عُقد المؤتمر في فندق الأمباسادور من ٢٢–٢٧ نيسان عام ١٩٥٤، بحضور ٧٤ مشاركًا.[١] وهذه صورة عن أحد محاضر المؤتمر:

[١] محاضر جلسات المؤتمر الإسلاميّ – المسيحيّ الأوّل، بحمدون، لبنان، ٢٢–٢٧ نيسان ١٩٥٤ (مكتبة Jafet، الجامعة الأميركيّة في بيروت).

المؤتمر الإسلاميّ – المسيحيّ، فندق الأمباسادور، ٢٢ – ٢٧ نيسان ١٩٥٤
بفضل محفوظات السيّد وديع معلوف

ميثاق بحمدون

«نحن المجتمعين، بوقار هذه الدعوة يوم ٢٧ نيسان ١٩٥٤ الموافق تاريخه ٢٤ شعبان ١٣٧٥ هجريّة، نشكّل أنفسنا كلجنة مستمرّة، هدفها التعاون الإسلاميّ – المسيحيّ، ونتعهّد أمام الله، العمل بلا هوادة بثقة متبادلة واحترام حقوق الآخرين بترويج روح التفاهم والأخوّة بين أتباع الدينين الإسلاميّ والمسيحيّ.»

وعُقد مؤتمر إسلاميّ – مسيحيّ آخر بتاريخ ١٨–٢٨ حزيران ١٩٥٦.

ومن أشهر الذين أمضوا الصيف في بحمدون الشاعر خليل مطران (١٨٧٢–١٩٤٩) اللبنانيّ، المُقيم في مصر، وأحمد شوقي (١٨٦٨–١٩٣٢) الذي رغم اصطيافه في عاليه، كان يمضي معظم الأوقات في فندق مصر.

ومحمّد عبدالوهاب، المطرب الكبير الذي اختار بحمدون متنقّلًا بين فندقي أمباسادور وسميراميس في الضيعة. وكذلك سعيد عقل الغنيّ عن التعريف.

صيدليّة أبو خالد، منذ ١٨٩٧

بفضل محفوظات الدّكتور نبيل أبو خالد

تأسّست أوّل صيدليّة في بحمدون سنة ١٨٩٧، وما زالت تعمل بنشاط إلى يومنا هذا. إذ كان الطبيب مخايل أبو خالد قد تخرّج قبل عام من الجامعة اليسوعيّة، وتخرّج أخوه أمين صيدليًّا بعده بسنة. وكانت عيادة الطبيب تقع خلف الصيدليّة.

كانت أُولى دور السينما الصامتة في منتجعات صيفيّة مختلفة، ملكًا لعبدالله ناصيف نصرالله. أمّا الحلبة الرياضيّة فأُطلق عليها اسم أمين عبدالنور الذي موّل مشروع بنائها، وافتتحها الرّئيس كميل شمعون سنة

١٩٥٤، وكانت مسرحًا للمباريات الدوليّة والمهرجانات. وما زال بناؤها قائمًا إلى يومنا هذا، إلّا أنّها مُهملة ومهجورة.

تعدّدت الكنائس في بحمدون. ففي شارع مطران كانت كنيسة الكاثوليك التي تمّ بناؤها سنة ١٩٢٠، وكنيسة مار الياس للأرثوذكس، التي شيّدتها عائلة أمين سعد عام ١٩٤٧ ودُشّنت سنة ١٩٥٨. وكان بناؤها شفاعةً لابنها الذي تعافى، بعد أن كان طريح فراش الموت. هي كنيسة صغيرة تقع على مقربة من الدرج المؤدّي إلى الضيعة، قرب الكوع المخفيّ. وكان هناك أيضًا، كنيسة مار جرجس للموارنة وكنيسة التجلّي الأرثوذكسيّة، ومعبد اليهود، وجامع. لقد دُمّرت الكنائس أيّام النزاعات، أمّا الجامع والمعبد فبقيا على حالهما. أُعيد بناء الكنيستين وأصبحت كنيسة الروم تُعرف باسم كنيسة المخلّص الأرثوذكسيّة.

امتدّ عصر محطّة بحمدون الذهبيّ من العام ١٩٥٠ إلى أوائل العام ١٩٧٥. في تلك الفترة، كان القطار – أو ما كنت أسمّيه «تشوتشو» – لا يزال على حاله، يسير ببطء ناقلًا الأطفال برفقة جدّاتهم وهم يصرخون ويلعبون فرحين. وشكّلت المحطّة لؤلؤة المصايف في الشرق الأوسط. ومن أشهر رؤساء بلديّتها وأكثرهم شعبيّةً الدّكتور لويس غصن، أحد مؤسّسي نقابة الأطبّاء الذي اشتُهر بلقب «طبيب الفقراء»، وهو يُذكر دائمًا بالخير والمودّة.

راحت المحطّة تنهض من أنقاضها بعد العام ١٩٩٠. وما يدعو للأسف أنّ الإهمال والظروف السياسيّة غير الملائمة لم تُنعشها كما ينبغي. وعلى أمل أن تعرف المحطّة، كما كلّ لبنان، أيّامًا أفضل تُعيدنا إلى أيّامٍ سعيدة.

أيقونة بحمدون العجائبيّة

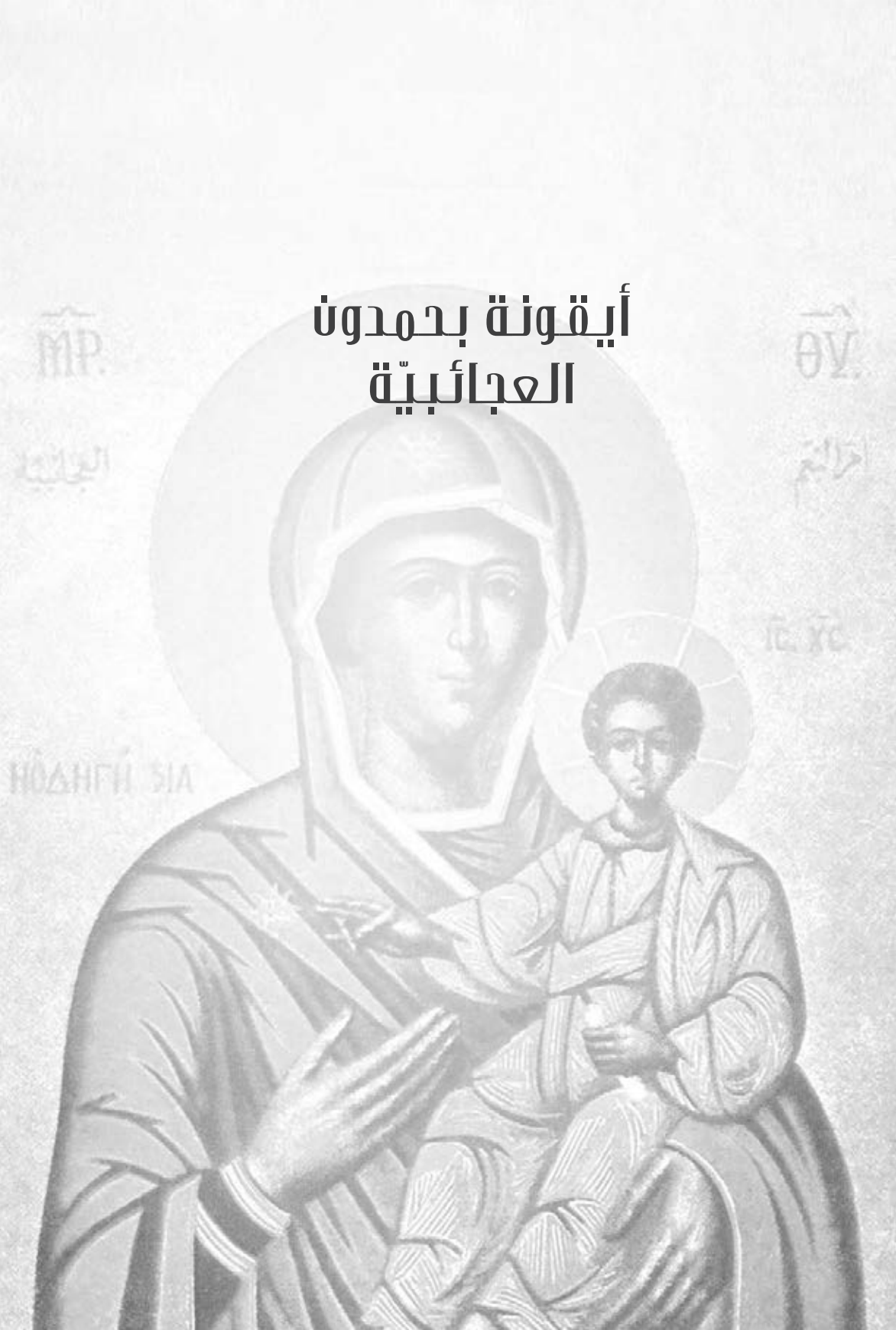

صورة مخطوطة الطرس البطريركي

ايها الاولاد الروحيون الاعزاء بالرب اهالي فريق بحمدون داعلو بارككم . فهذا كتابي الادبية الخديوية والبركات الابوية .
انه ما شاهدناه من تقوى لغيرتكم بامر جيتنا يدفعنا الى ان نحمد الله ونشكره من كل قلبنا على ايمانكم وتقواكم ونرنم مع النبي والملك داود « لقد عظم الرب اصنع وتسرنا فرحين . ما اعظم اعمالك يارب كلها بحكمة صنعت » . ان عمل الله الذي اجراه اليوم في هذه القرية الصغيرة مراطمة ابنوتة امه الكلية القداسة بارسالنا ان نقرن على رجائكم مليين ثناء تقواكم وتعلقكم بالسيدة الكلية القداسة ام الاله شفيعة الجنس البشري وبارككم لغيرتكم وراهبيتكم الدينية صنع الجبائب العظيمة دعماً لان الكنائس التي على اثر البرغامو سي المقتص وبارتخ ايمانهن تدوين الجيل الخامس سنة طيبي الاصل من بقرنة تسميتنا والدة الاله التي صورت بيد القديس لوقا الرسول البشير بالايمان من الله وهي المسماة ادرونيتريا (الغائبة) والتي طرحت في البحر عوضاً من ان يتلقاها تحويراً من قبل الملوك الجبارين الابقرنات .
وبهذا العمل تسلمت الى يد العناية الالهية التي حفظتها . وبعد سنوات عديدة اظهرتها محمولة على ايدي الملائكة القديسين محفوظة من حطب الماء فوق امواج البحر بالقرب من كورنثس يوم عيد البشارة سنة ١١٤٧ كما حفظ الثلاثة الفتية القديسون من النار في اتون بابل حيث تجمعت بجماعب لا تحصى واعمالات لا تسع لتواكم عناية ام الاله بابنائها الذين على الاثر . ثم نقلت على يد المتوحد بوليكربس الى مدينة الله انطاكية عاصمة كرسينا البطريركي الارثوذكسي . وهناك اقامت بتأويجاب لا تصف حيث اكتسبت اسم ام النعم بالنسبة الى النعم الغزيرة والبركات الوافرة التي اغدقتها على شعبنا المجاهد لاجل ايمانه فكانت مفرجة ضيقاته ومقوية ايمانه . ولما عنه ما سمعتم بالمعجزات التي تمت برأسطتها تحركنا بالروح سريعاً الى مشاهدتها وطلبناها لتكون معاونة لنا في عملنا الرسولي بعد ان فتنا صلوات لكم من اجل هذا العمل وتوسلنا اليها ان توافقنا في تنفيذ شعبنا الى هذا بر حي عاوي ارادتها المقدسة فاوفدنا رسولنا البطريركي ولدنا الاكرم متى بن يوسف وجلبها لنا بالاكرام اللائق . وكان بهذا العمل اختارتنا لنحصل لنا الشرف الاكبر لجلبها وزيارتها الى هذه البلدة العزيزة الراعية حيث تستقر فيها الى الابد مخلفة منها ناصرة جديدة وعرشاً جديداً ومملكة جديدة تشع منها انعم الاشفية الوافرة والبركات العديدة عليكم وعلى كل من ينتمي الى حمايتها بايمان . فنرحب بكم بطرس بركتنا هذا ولسلامكم جميعكم بالكلام الاكرم الوافر الذي هي اللغة المطروقة على الجنس البشري والرجاء اليها دوماً في غير سوء بعد الله والشفيعة الحارة التي لا ترد لها طلبة لدى ابنها الالهي . فاننا فقنا بنفسها ونستقر منكم بايقونتها الصانعة العجائب .
ونتمنا نسأل الله تعالى لدنا ايها الرسول لوقا تصير ايقونته المقدسة والمعظمة بين سائر البشر ان يبارك عليكم وعلى عيالكم واولادكم وفي مناتكم وارزاقكم واعمال ايديكم ونعمه تعالى فلتكن معكم الى الابد آمين .

١٨٥٧ تحرر بـ

الطرس البطريركي المعلن هدية ايقونة سيدتنا ام النعم العجائبية السريعة الاجابة الى بلدة بحمدون موقعاً من : غبطة البطريرك ايروثيوس الجزيل القداسة .

الجسر العثمانيّ – الحسق

بفضل محفوظات السيّد كميل خيرالله

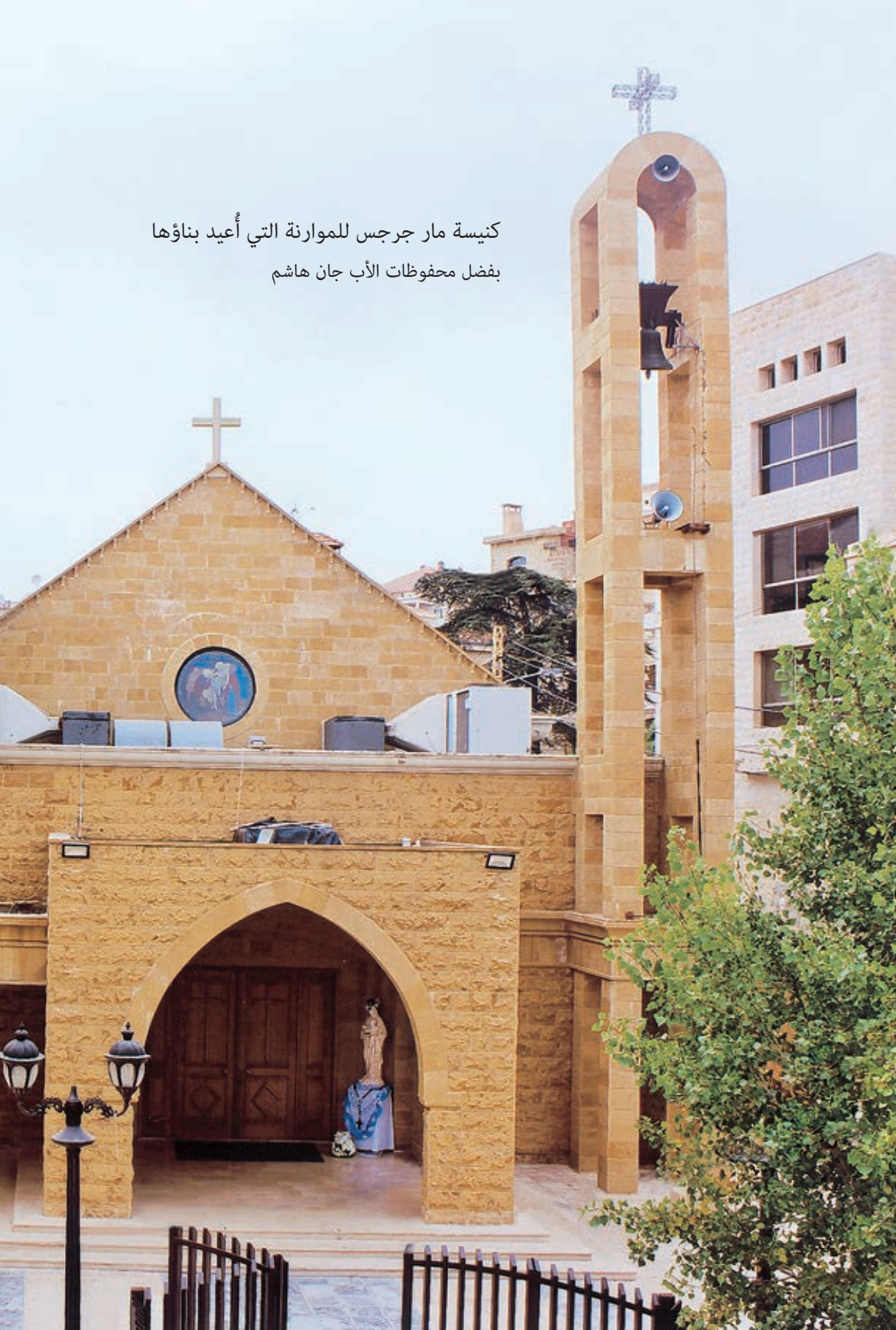

كنيسة مار جرجس للموارنة التي أُعيد بناؤها
بفضل محفوظات الأب جان هاشم

أيقونة بحمدون العجائبيّة

كنيسة مار جرجس للأرثوذكس التي أُعيد بناؤها

بفضل محفوظات السيّد كميل خيرالله

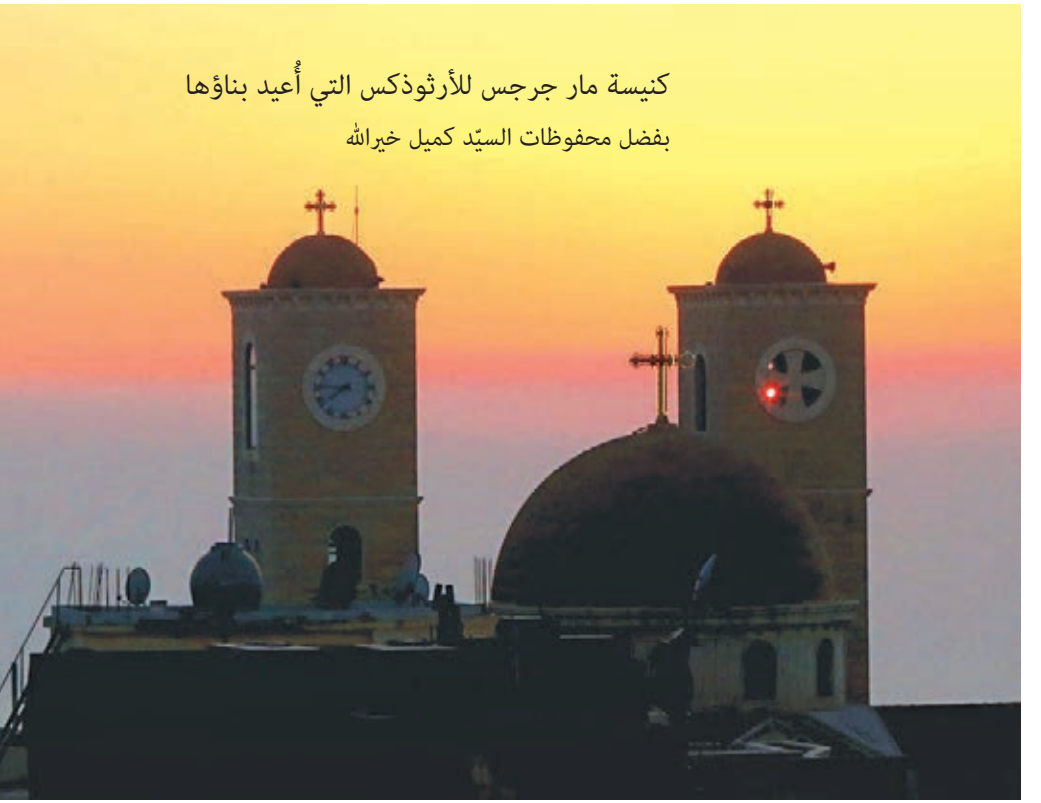

كنيسة مار جرجس للأرثوذكس، مغطّاة بالثلوج

بفضل محفوظات السيّد كميل خيرالله

الكنيسة البروتستانتيّة في بحمدون

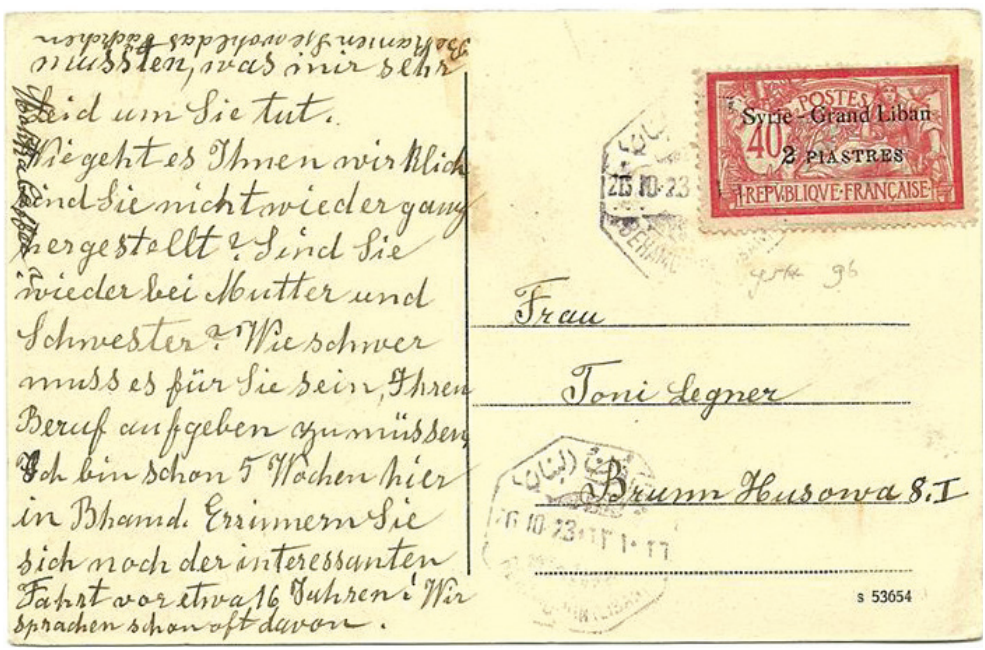

بطاقة بريديّة تُظهر «نزل الأخت نسطاس» في بحمدون

بفضل محفوظات السيّد كميل خيرالله